الفصل الثاني

تحليل اتجاهات الهجرة العالمية واليمنية

المبحث الأول:

تحليل اتجاهات الهجرة العالمية.

المبحث الثاني:

تحليل اتجاهات الهجرة اليمنية.

المبحث الأول
تحليل اتجاهات الهجرة العالمية

أولًا. تحليل جذور الهجرة العالمية:

تعد الهجرة[١٩*] البشرية واحدة من أهم الظواهر التي ارتبطت بدايتها الأولى بوجود الإنسان على ظهر هذا الكوكب، وساعدت الهجرات الأولى على انتشار الجنس البشري في أرجاء المعمورة، ومع هذا الانتشار تشكلت المجتمعات والثقافات الإنسانية المختلفة، لذا كانت الهجرة وما زالت تشكل مجالاً خصبًا للدراسات الإنسانية المختلفة التي تستدعي اهتمام الباحثين والمتخصصين في مجالات العلوم الإنسانية ولاسيما علمي الاجتماع والانثروبولوجيا، لما يرافقها من انعكاسات ومشكلات مختلفة تترك أثارها في المهاجرين وفي مجتمعاتهم الأصلية والمجتمعات التي قدموا إليها على حد سواء.

فمنذ فجر التاريخ كان الإنسان دائم الترحال، معتمدًا على وسائل أولية وبدائية للعيش فكان يجمع ويلتقط الثمار بحثًا عن الرزق، ثم تنقل أسلافنا وراء قطعان الحيوانات للقنص والصيد بوصفها أهم مصادر حياتهم في ذلك الزمن.

وفي المجتمع الزراعي أقترن الاستقرار بتوافر مقومات ذلك الاستقرار وهي الأرض والينابيع والأنهار للقيام بالأعمال الزراعية، وبما أن هذه المقومات وعبر صراع الإنسان مع الطبيعة التي لم يكن مسيطرًا عليها سواء أكان ذلك في الأزمنة الضاربة في القدم أم في نطاق المجتمعات النامية؛ وعليه كان يتنقل من مكان إلى آخر بحثًا عن سبل العيش التي تؤمن له حدود الحياة والاستقرار، كتلك الهجرات التي خرجت من

(*) عرف الاجتماعيون الهجرة بأنها انتقال الأفراد بصورة دائمة أو مؤقتة إلى الأماكن التي تتوافر فيها سبل العيش، وقد تكون هذه الأماكن إمّا داخل حدود البلد الواحد أو خارجه، وتتم عملية الهجرة هذه بإرادة الفرد أو الجماعة، أو بغير إرادتهم، انظر: عبد القادر القصير، الهجرة من الريف إلى المدن: دراسة ميدانية اجتماعية عن الهجرة من الريف إلى المدن في المغرب العربي، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٢ م، ص١٠٥-١٠٦.

الجزيرة العربية إلى الهلال الخصيب، ومثل هجرات القبائل الجرمانية التي حدثت بين القرنين الرابع والسادس في منطقة بحر البلطيق جنوبا بحثًا عن الأراضي الزراعية وهجرات القبائل العربية ولاسيما تلك التي اتجهت إلى شمال أفريقيا [٢٠]، وتمت هذه الهجرات بفعل قوة العوامل الطاردة المتمثلة في قسوة الطبيعة وضراوة الجماعات المعادية، وعدم قدرة الإنسان على التكيف مع الواقع وتطويع الحياة المادية والبشرية لصالحه، والملاحظ أن هذه الهجرات البدائية (ق.م) كانت تتم بصورة جماعية لا فردية إذ كانت تقوم بها جماعات كبيرة أو شعوب وقبائل بأكملها كحركات جماعات الصيد والقنص أو تلك الجماعات التي تعيش على الزراعة.

وعلى الرغم من قدم هذه الظاهرة، تتم الآن على نطاق أوسع مما كانت عليه في الماضي، إذ تتعدى الحدود الوطنية والإقليمية لتنتشر في مختلف مناطق العالم بسبب وجود مناطق جديدة للجذب السكاني وإيجاد فرص العمل وتحقيق الذات والتخفيف من قسوة الظروف المادية و السياسية والاجتماعية في البيئات المهاجر منها مقارنةً بالبيئات المهاجر إليها، وقد استطاع الإنسان أن يطوع الظروف الطبيعية التي كانت تواجهه سابقًا في هذا الترحال وتهدد حياته، إذ مكنته وسائل النقل الحديثة من سهولة الانتقال والتحرك والارتقاء بمستوى حياته بصورة أفضل مما كان عليه في الماضي.

لقد أدت تلك التحركات الإنسانية التي جرت بين مختلف مناطق العالم إلى انتشار الجنس البشري والتلاقح الحضاري بين مختلف شعوب المعمورة.

وقد كانت حركة (هجرة) الإنسان وتنقله من مكان إلى آخر سواء داخل حدود الدولة الواحدة أو خارجها يحكمها البحث عن وسائل لتطمين حاجاته وتحقيق رغباته في الحياة الافضل، ويوضح ابن خلدون ذلك بقوله:

(... ومن العمران ما يكون بدويًا، وهو الذي يكون في الضواحي وفي الجبال وفي الحلل المنتجة في الفنار وأطراف الرحال ومنه ما يكون حضريًّا وهو الذي يكون

٢٠ – رياض عواد، هجرة العقول، دار الملتقى، قبرص، ب.ت، ص٧.

بالأمصار والقرى والمدن للاعتصام بها والتحصين بجدرانها، أعلم أن اختلاف الأجيال في أحوالهم، إنما هو باختلاف نحلتهم من المعاش فمنهم من يستعمل الفلح من الغراسة والزراعة، ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان تدعوهم الضرورة ولابد إلى البدو لأنه يتسع لما لايتسع له الحواضر من المزارع...، ثم إذا اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفة، ودعاهم ذلك إلى السكون والدعة، وتعاونوا في حاجاتهم على الضروري واستكثروا من الأقوات والملابس والتأنق فيها، وتوسعت البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضر... وهؤلاء هم الحضر...، ومن هؤلاء من ينتحل في معاشهم الصانع ومنهم من ينتحل التجارة، وتكون مكاسبهم أغنى وأرفه من أهل البدو لان أمورهم زائدة عن الضرورة فالبدو هم المنتصرون على الضروري في أحوالهم والحضر هم المغتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم فالضروري أقدم من الحاجي والكمالي وسابق عليه ولأن الضروري أصل والكمالي فرع ناشئٌ عنه فالبدو أصل للمدن والحضر وسابق عليهما... لهذا نجد إن التمدن غاية للبدوي يجري إليها) [٢١]، وينطلق ابن خلدون في طرحه هذا في تحديد نمط الإنتاج، الذي يقصد به المعاش، وتطلع البدو إلى حياة الترف أو الحضر وذلك لا يتم تحقيقه إلا عن طريق الجري أو الهجرة أليها.

و قد توسعت اتجاهات الهجرات عما كانت عليه في الماضي، إذ اكتسبت هذه التحركات صورًا وأبعادًا مختلفة في مراحل التاريخ البشري، وعرفتها كل المجتمعات، إذ أخذت مجاميع كبيرة من السكان تنتقل من مكان إلى آخر كما حدث في هجرة الشعوب الأوربية التي تعد من أكبر الهجرات التي عرفها التاريخ الحديث التي اتجهت صوب أمريكا أولاً ثم إلى استراليا وجنوب أفريقيا [٢٢]. ومن تلك الهجرات الواسعة

٢١- عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، الجزء الأول: من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٩ م، ص ١٢٠، ١٢٣.

٢٢-د. محمد عبده محجوب، الهجرة والتغير البنائي في المجتمع الكويتي: دراسة في الانثروبولوجيا الاجتماعية، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، مصر، ب ت، ص ٤٣،٤٤.

هجرة الايرلنديين والألمان التي حملت ملايين البشر إلى أمريكا، أو تلك التحركات السكانية الاضطرارية التي تمت عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية في شبه القارة الهندية وأدت إلى هجرة ملايين السكان بين الهند وباكستان بعد تأسيس الدولتين[٢٣] أو هجرة الروس قسرًا إلى سيبيريا في عهد ستالين، ولعل أسطع مثال أمامنا هو تهجير العدو الصهيوني للشعب الفلسطيني قسرًا من أراضيه واستمرار هذه العملية منذ حرب ١٩٤٨م وإلى يومنا هذا، وعلى الرغم من أن الظروف الطاردة للسكان قد تختلف من مجتمع إلى آخر ومن زمن إلى آخر وتتفق في محورها العام وهو التعبير عن رغبة المهاجرين في البحث عن حاجاتهم المادية والروحية، تتمّ الهجرات القسرية، المعروفة بالهجرات السياسية من غير رغبة كما هو واضح من تسميتها.

لقد أدى تطور الاقتصاد العالمي في العصر الحديث وما صاحبه من تدويل للعمل والرأسمال إلى اتساع حركة السكان في جميع أرجاء المعمورة واجتذاب العمال إلى مراكز المدن التي تزدهر فيها حركة النشاط التجاري والاقتصادي [٢٤]. ويطلق على اسم الهجرة من هذا النوع بالهجرة العمالية وهي نمط يتميز من بقية أنماط الهجرة الأخرى، بأنها هجرة من أجل العمل[٢٥(*)]. إذ وصفت الهجرات الدولية التي حدثت بعد الحرب العالمية الثانية بالهجرات العمالية «المؤقتة»، التي جذبتها أسواق العمل بسبب اتساع النشاط الصناعي والتجاري في مختلف بلدان العالم.

وتوضح بعض الدراسات السوسيولوجية اتجاهات حركة الهجرة على نحو عام من المناطق المكتظة بالسكان إلى المناطق القليلة السكان [٢٦]. لكن الزيادة السكانية وشحة الموارد

23 -Human Migration, in encyclopedia Britannica, vol. 12 p.186

٢٤- د. نادر فرجاني، سعيًا وراء الرزق، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م. ص٣٠.

(*) نصت عليها الفقرة الأولى من المادة الأولى من التوصية رقم ٨٦ اللخاصة بالهجرة من اجل العمل، والصادرة عن المؤتمر العام لمنظمة العمل الدولية الذي انعقد في يونيو ١٩٤٩م، والواردة في مجموعة توصيات العمل الدولية الصادرة عن الجامعة العربية- الأمانة العامة- إدارة الشؤون الاجتماعية والعمل، القاهرة ١٩٦٤م، ص ٣٧٠.

٢٦- د. محمد عبده محجوب، الهجرة والتغير البنائي في المجتمع الكويتي، مصدر سبق ذكره، ص ٤٣.

ليست وحدهما سببًا في الهجرة، بل تتداخل معهما عوامل أخرى اقتصادية واجتماعية ودينية وثقافية ونفسية، ويوضح علماء الاجتماع حركة انتقال السكان هذه بأنها نتاج لعوامل عدة تدفع الفرد أو الجماعة إلى مغادرة الموطن الأصلي وتسمى بالعوامل الطاردة وفي المقابل توجد عوامل مساعدة يبحث عنها المهاجرون في موطن آخر تسمى بالعوامل الجاذبة، فبفعل عوامل الطرد وعوامل الجذب المختلفة تحدث عملية الهجرة.

ويتفق علماءُ الاجتماع والباحثون أمثال (جيلفرد جنسون) و(ديفيد هير) على أن الهجرة بوجه عام تتجه من المناطق الضعيفة اقتصاديًا إلى المناطق أو البلدان التي تكون أوضاعها الاقتصادية أفضل للمهاجر، إذ تمنح المهاجر فرصة لتحسين وضعه المادي والاجتماعي، فضلاً عن الجماعات التي تهاجر بدوافع دينية أو سياسية، ويغادر بعضهم بلدانهم لعدم تمكنهم من التصريح بآرائهم بحرية تامة فيضطرون للهجرة إلى بلدان أخرى للإدلاء بها [٢٧]. بعيدًا عن سلطات المراقبة والقمع وضغوط السياسة التي تمارس ضدهم في بلدانهم الأصلية [٢٨].

وعلى الرغم من أن الهجرات الحديثة تتم بدوافع وعوامل طاردة يصعب تذليلها أو التكيف معها في مواطن المهاجرين الأصلية، يحدد المهاجرون أهدافهم من هذه الهجرة بوضوح قبل هجرتهم، ويتخيرون المكان الذي يتجهون إليه والزمان المناسب لهجرتهم، ويعدون أنفسهم إعدادًا كافيًّا لهذه الهجرة ويخططون لما يقومون به في بلدان المهجر، وأيضًا يخططون للعودة إلى الوطن الأصل بعد تحقيق أهدافهم التي رسموها قبل الهجرة.

ثانيًا. حركة الهجرة في المنطقة العربية:

تميزت المنطقة العربية منذ فجر التاريخ بحركات واسعة للهجرات المختلفة (الداخلية أو الخارجية).

٢٧- د. خضر زكريا وأخرون،دراسات في المجتمع العربي المعاصر، ط١، دار الأهالي للتوزيع، دمشق، سوريا،١٩٩٩م، ص ٤٩.

٢٨- رياض عواد، هجرة العقول، مصدر سبق ذكره، ص٥٤.

وتشير المصادر التاريخية إلى ما شهدته حركة السكان في المنطقة العربية من هجرات واسعة باتجاه المدن التي أخذت تنمو على مر التاريخ، وشكل سكان الريف والبادية نسبة عالية وملحوظة في سكان المدن العربية الناشئة التي تتوافر فيها جملة من عوامل الجذب، وقد بدأت هذه التحركات واسعة النطاق مع الفتوحات الإسلامية ولم تقتصر على المنطقة العربية فحسب بل امتدت إلى خارجها.

وقد أدت هذه التحركات السكانية دورًا مهما في تكوين الحضارة العربية الإسلامية وتفاعلها مع الحضارات الأخرى[٢٩]. وكان لعوامل الانتماء للغة والدين والتاريخ الواحد وتجانس الأنماط الثقافية والاجتماعية دور في ذلك الترابط والاندماج لسكان المنطقة العربية.

وعلى الرغم من إن مجيء الاستعمار إلى المنطقة قد فرض قيودًا على حركة السكان بين الأقطار العربية ووضع عددًا من الحواجز الحدودية الفاصلة، إلا أن ذلك لم يوقف حركة السكان داخل المنطقة العربية.

وتجدر الإشارة إلى أن متغير النفط كان أثره كبيرًا في إحياء ذلك الحراك السكاني داخل المنطقة العربية بصورة أكبرمن السابق، إذ مثل اكتشاف هذه الثروة عاملاً جديدًا لزيادة تدفق الهجرة نحو البلدان النفطية بدرجة رئيسة منذ منتصف القرن العشرين، فإذا كانت الجزيرة العربية هي مصدر الهجرات السابقة إلى مصر، والشام، والعراق ؛ فإن الهجرات الحديثة أخذت تتجه إليها من بلدان عربية مختلفة[٣٠]، كمصر واليمن والسودان وسوريا، والأردن بالدرجة الأولى.

لقد سارت حركة الهجرة في المنطقة العربية في اتجاهات مختلفة سواء أكانت داخلية أم خارجية، إذ يمكن توزيعها على أربعة اتجاهات:

٢٩- خلدون النقيب، بناء المجتمع العربي، بحث مقدم إلى ندوة: نحو علم اجتماع عربي، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية،ط١، بيروت، لبنان، ١٩٨٩، ص ٢٤٤.

٣٠-د. سعد الدين إبراهيم، النظام الاجتماعي الجديد: دراسة عن الأثار الاجتماعية للثروة النفطية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٢م، ص٥٧.

١. الاتجاه الأول: ويتمثل في تلك الهجرات التي حدثت خلال العهد الإسلامي بسبب الفتوحات الإسلامية في القرن السابع الميلادي سواء أكان داخل المنطقة العربية أم إلى خارجها.

٢. الاتجاه الثاني: ويتمثل في الهجرات التي حدثت في أثناء مدة الاستعمار الأوربي للمنطقة العربية، وهي غالبًا ما كانت استجابة لنقص الأيدي العاملة في بلدان الاستعمار كما حدث في الهجرات من دول المغرب العربي إلى أوربا، أو الهجرة اليمنية إلى بلدان شرق أسيا والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، فضلاً عن تهجير الشعب الفلسطيني من أراضيه.

٣. الاتجاه الثالث: ويتمثل في الهجرة التي رافقت استخراج النفط في المنطقة العربية في منتصف القرن العشرين[٣١]. فقد كان اتجاه هذه الهجرات من مناطق مختلفة إلى مناطق النفط العربية، وهي بلدان مجلس التعاون الخليجي والعراق وليبيا.

٤. الاتجاه الرابع: ويتمثل في هجرة الكفاءات العربية التي بدأت منذ ثمانينات القرن العشرين من بلدان عربية مختلفة كالعراق وسوريا ومصر والأردن ولبنان إلى الولايات المتحدة الأمريكية وإنكلترا وكندا واستراليا.

وتشير الدراسات إلى أن حجم الهجرة في المنطقة العربية قد ارتفع من مليون ونصف المليون في منتصف السبعينات إلى نحو خمسة ملايين وثلاثمئة ألف مهاجر(عامل) في سنة ١٩٨٣م، وقد وصلت هذه الأعداد إلى ما يقارب أحد عشر مليون مهاجر «عامل» مع ذويهم في نهاية القرن العشرين[٣٢]. وأغلب هذه الأعداد تتركز في دول مجلس التعاون الخليجي، فضلاً عن الهجرة الآسيوية القادمة إلى هذه

٣١- سليمان فرج بن عزون، تحويلات المهاجرين والعائدين ودورهم في الصناعة في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع، غير منشورة، جامعة ميتشجن الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٨٨م، ص ٢٧.

٣٢- د. باقر سلمان النجار، حلم الهجرة إلى الثروة، ط١، مركز دراسات الوجدة العربية، بيروت لبنان، ١٩٩١م، ص٣٧.

البلدان التي تفوق معدلات الهجرة العربية بكثير. ولعل ما يميز الهجرات الحديثة هو كونها هجرات مؤقتة، وغالبًا ما كانت الهجرات القديمة دائمة، وخاصة الهجرات التي كانت تحدث بقصد الاستيطان.

وتقوم هذه الهجرات الحديثة والمؤقتة على أساس نية المهاجر في قضاء مدة معينة في بلد المهجرثم يعود بعدها إلى بلده الأصل عندما تنتهي ظروف الإقامة المحددة مثل انتهاء مدة رخصة العمل أو التقاعد أو في حالة تحقيق أهدافه من الهجرة.

إن تدفق الهجرات الواسعة إلى دول مجلس التعاون الخليجي (النفطية) كان تلبية لحاجة هذه البلدان إلى الأيدي العاملة للعمل في مشاريع البنى التحتية التي كانت في طور التكوين، إذ استقبلت أعدادًا كبيرة من المهاجرين، غير أن هذا الاستقبال للمهاجرين بدأ في الآونة الأخيرة يركز على الفنيين منهم للعمل في القطاعات الإنتاجية.

أمَّا اتجاه الهجرة في بلدان المغرب العربي (الجزائر،المغرب،تونس) فقد كانت تسير في اتجاه البلدان الأوربية وتحديدًا إلى فرنسا وبريطانيا وكندا، وإن كانت هي الأخرى قد تراجعت في المراحل الأخيرة إذ اتسمت اليوم بهجرة الكفاءات العليا من هذه البلدان وغيرها كالعراق ومصر ولبنان وسوريا والأردن والسودان واليمن إلى خارج المنطقة العربية أو إلى بلدان النفط العربية.

أمّا على صعيد الهجرات الداخلية في الأقطار العربية فقد شهدت جميع الأقطار حِراكًا واسعًا لهذه الهجرات وأهمها الهجرة من الريف إلى المدن العربية التي شكلت عامل جذب للقادمين إليها من مختلف المناطق داخل القطر الواحد.

وأمام ذلك فقد نشطت حركة الهجرة في العديد من البلدان، فقد استقبلت مدينة بغداد أعدادًا كبيرةً من المهاجرين القادمين إليها من بقية محافظات القطر العراقي منذ خمسينات القرن العشرين وذلك لما توفره المدينة من فرص عمل وإمكانات لنمط جديد من الحياة لا مثيل له في الريف [٣٣].

٣٣- د. مكي محمد عزيز، بعض مظاهر تحضر المهاجرين في مدينة بغداد، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، المجلد الثامن، بغداد، حزيران ١٩٧٤م ،ص٧٣.

وفي الجزائر كانت اتجاهات الهجرة الداخلية في الغالب تتجه من الأرياف إلى المدن الرئيسة الكبرى ولاسيما إلى مدينة الجزائر العاصمة التي جذبت المهاجرين إليها بفعل توافر فرص العمل والخدمات المناسبة فيها، وإن نسبة (٦٢٪) من جملة المهاجرين هاجروا خلال حرب التحرير وبعد الاستقلال مباشرة للعاصمة الجزائر[٣٤].

ولعل أكبر تلك الهجرات الداخلية المتجهة من الريف إلى المدن العربية هي التي حدثت في مصر، وهذا ما بينته عدد من الدراسات التي تناولت ظاهرة الهجرة هناك وبينت تزايد سكان هذه المدن وانخفاضه في الريف بفعل توافر فرص العمل وتنوعها في تلك المدن الجاذبة وزيادة أرباح مشاريعها الإنتاجية [٣٥].

●●●

٣٤- د. رياض إبراهيم السعدي، حركة الهجرة الداخلية واتجاهاتها في الجزائر، مجلة الجمعية الجغرافية العراقية، المجلد الثامن عشر، بغداد، العراق، ١٩٨٦م، ص٨٦.

٣٥- د. عبد الباسط عبد المعطي، الهجرة الريفية والحضرية في مصر، تحليل تاريخي معاصر، معهد الإنماء العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م، ص٧٠-٧١.